التربية للمعركة في القرن التاسع عشر

والآن ننتقل الى دور التربية في المعركة في القرن التاسع عشر ، ونركز على تجربتي دولتين رائدتين حقا ، وهما بروسيا واليابان ، الاولى في النصف الاول والثانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وفي الواقع فان التجربة التربوية ، في كل من بروسيا واليابان ، قد اصبحت مضرب الامثال في العالم اجمع .

١ ــ « معجزة » التربية في المانيا(*)

ولعل تجربة المانيا (بروسيا) التربوية في القرن الماضي ، تعتبر شهادة حية ، لدور التربية الفعال ، اذا وجهت الوجه القومي الصحيح ، في بث روح وطنية سليمة ، وخلق جيل جديد قوي ، يؤمن برسالة أمته وأمانيها القومية . والمعروف أن رجال التربية في العالم لا يملون ابدا ، من الاستشهاد بتجربة المانيا التاريخية الرائدة والحية في استخدام التربية والتعليم لانقاذ البلاد ، وجعلها قوية ومتحدة .

ويجدر بنا الآن أن نسلط الاضواء على الخلفية التاريخية ، لهزيمة المانيا من قبل فرنسا ، قبل أن نذكر قصة قفزة المانيا التربوية .

في ختام عام ١٨٠٤ ، تحولت فرنسا من جمهورية الى امبراطورية ، واصبح نابوليون بونابرت ، القائد المعروف ، أول امبراطور على فرنسا . وصمم الامبراطور الجديد على اخضاع بروسيا (المانيا) ، بعد تغلبه على النمسا . واستطاع فعلا الجيش الفرنسي الحاق هزيمة شنعاء بالجيش البروسي في معركة « يينا » عام ١٨٠٦ ، وارغمه على التراجع حتى الحدود الروسية ، ونتيجة لهذه الكارثة ، خسرت بروسيا نصف أراضيها وشعبها ايضا في معاهدة « تلست » سنة ١٨٠٧ ، وسقط اسم بروسيا من قائمة الدول العظمى ، في ذلك العصر ، بعد أن كانت دولة قوية في عهد الملك فريدريك الكبير . وعلق المؤرخ التربوي الكبير ، « كيوبرلي » ، على تلك الهزيمة بقوله : « لم تشهد بروسيا في تاريخها كهذا النوع من الاذلال ، ففي اشهر قليلة ، تحطمت حصيلة ما جنته بروسيا في قرن ونيف من العمل البناء » .

وتسلم الفرنسيون بيد من حديد كل السلطات في البلاد ، ما عدا شؤون التربية والتعليم ، التي تركت لابنساء البلاد الاصليين . بيد أن الدولة الالمانية اهتمت كل الاهتمام بالتربية والتعليم .

ولكن كيف استطاعت بروسيا التغلب ، تدريجيا ، على هول الصدمة ؟ بدىء اولا باجراء سلسلة من الاصلاحات في شتى المرافق ــ في الاقتصاد والادارة والجيش **والتعليم** . الا أن الاهتمام الاكبر كان قد ركز على شؤون التربية والتعليم ، وذلك بناء على الايمان بأن المدارس تعتبر المصدر الرئيسي الذي يمكن ان تنبعث منه الحياة الجديدة في البلاد . وعبر ملك بروسيا آنذاك ، فردريك وليم الثالث ، عن الايمان القوي بقوة التربية والتعليم بقوله : « ان ما خسرته الدولة عسكريا ، سوف نسترجعه عن طريق التربية » . كما أعلن : « ان على الدولة ، ان تكسب بالقوى الذهنية ، ما خسرته بالقوى المادية » . وفي نفس السياق ، صرح أحد الوزراء : « هدفنا الاساسي هو انشاء جيل جديد من الرجال ، عن طريق التربية والتعليم » .

ولعل هذه الافكار والمشاعر مستمدة من الفيلسوف الالماني ، « فيخته » ، الذي حث الزعماء والقادة في المانيا الى اللجوء للتربية والتعليم ، لانقاذ البلاد والدولة من

---

* بروسيا دولة من دول المانيا ، قديما . وكانت عاصمتها برلين . وكان ملوكها الدور الاول في توحيد المانيا وجعلها امبراطورية ، بعد معاهدة فرساي عام ١٨٧١ .